رؤى

إسأل روحك!

| حبيب فارس |

بيل موريسون، وزير دفاع أسترالي أسبق في حكومة غوف ويتلم العمّالية التي أقيلت بقرار تعسّفي من الحاكم العام جون كير(ممثل ملكة إنكلترا). المتعارف عليه في أستراليا، حتى من قبل الأوساط المحافظة، أنّ الأسباب غير المعلنة لإقالة حكومة ويتلم، كانت توجهاتها الإستقلالية عن العرش البريطاني والإتجاه نحو إقامة نظام جمهوري في الدولة / القارة، رفضها التبعيّة المطلقة لسياسات الولايات المتحدة الأميركيّة ونزوعها نحو عدم الإنحياز، علاقاتها الجيدة مع الدول الآسيوية المجاورة بما فيها الصين، تعاطفها (ولو الخجول) مع حركات التحرر الوطني بما فيها حركة التحرر الوطني الفلسطينية، وسلّة كبيرة من البرامج الإصلاحيّة الداخليّة ذات الطابع التقدمي على رأسها الإعتراف بالحقوق القوميّة للسكان الأصليين.

تميّز غوف ويتلم بشخصيّة قويّة وكاريزميّة محبوبة، وكان العديدون من عرب أستراليا يسمّونه «عبد الناصر أستراليا».

بعد فترة من إقالة حكومة ويتلم، تمّ تعيّين بيل موريسون سفيراً لإستراليا في أندونيسيا ومارس وظيفته هناك لسنوات عدة. وعندما تقاعد من عمله الدبلوماسي أعلن ترشيحه لعضوية (الرئاسة) بلدية ضاحيته في مدينة سيدني، وكان برنامجه الإنتخابي يتمحور حول تخفيف زحمة السير في الضاحية!

(شيء لا يصدّقه العقل العربي هه؟!). إذن خذوا المزيد:

قبل حوالي عشرين عاماً، هاجر صديق طفولة لي إلى أستراليا، بعد أن عايش ما فيه الكفاية من حروب لبنان وعليه. خلال أحد الأيام الأولى لهجرته، كان يجلس إلى جانبي في سيارتي وسط الضاحية التي نقيم فيها، وهي نفس ضاحية بيل موريسون. صديقي لم يكن يعرف عنه شيئاً ولا حتى سمع به من قبل، لكنني كإبن منطقته وكناشط سياسي كنت أعرفه حسباً ونسباً.

كانت سيارتي تنتمي لآوّل أجيال جيلها، ولآخر جيل يُسمح له باستخدام طرقات أستراليا (كي لا أقول العالم). كنت سعيداً جداً بتجديد دائرة المواصلات أوراق استعمالها لعام جديد. وبحكم وضعها التعيس جداً، خلقت لي هاجساً جعلني أستخدم عينيّ لوظيفتين مختلفتين، واحدة للسواقة والأخرى لمراقبة السيّارات العابرة والمتوقفة، علّني أجد سيّارة أبأس من سيارتي، أو على الأقل بنفس بؤسها، كي أفكّ مركّب النقص الذي خلقته لي.

يومها شاءت الأقدار أن يأتي الفرج الموعود. عند أحد معابر المارّة في الشارع الذي كنا نسلكه، أوقفتنا ثلّة من العابرين، أتاحت لي أن أدرس ملامح السيّارة التي توقفت في الجهة المعاكسة، وأكثر من ذلك ملامح سائقها، لأكتشف مرّة واحدة بأنّ سيّارتي ليست السيّارة الأتعس في أستراليا، بل ولست أنا الأقلّ أهمّية في القارة.

إحترت بين أمرين: هل أشفي غليل سيّارتي بالتركيز على جسم السيّارة الأخرى التي يبدو أن لونها الأصليّ كان أبيض قبل أن يترك الزمن بصماته المحزنة عليها، بما في ذلك استبدال أحد أبوابها بباب لونه أحمر، يبدو أنه ترك أحمر لأنه ما زال يحتفظ ببعض بريق حمرته؟ أم أنني أشفي غليلي بالنظر إلى ذلك الجالس على مقعد القيادة «ومش فارقة معه العالم كلّه»؟!

إنّه هو نفسه، صاحب نفس تّسريحة الشعر الكثّ الفضّي الأملس الطويل، إنّه نفس الشخصيّة الجذابة ذات العينين اللامعتين ذكاء، حنكة وتفاؤلاً، إنّه وزير الدفاع والسفير الأسترالي الأسبق وعضو البلديّة الحالي المهتمّ بتخفيف ازدحام السير في ضاحيتنا الجميلة، إنّه بيل موريسون بلحمه وشحمه!

«ما طلع معي شي» غير ضحكة عالية جعلت صديقي يقفز من مقعده مرعوباً!

بإلحاح منه، أخبرته بعض ما أعرفه عن بيل موريسون. ما لم أخبره كان ما هو سبب ضحكتي الغريبة!

ربّما اعتقد فيما بعد أن أسباب هذه الضحكة الهستيريّة هي ذات الأسباب التي دعته ليطرح عليّ عشرات الأسئلة مثل:

- وزير سابق ويستقلّ مثل هذه السيّارة؟
- وزير سابق بلا «شوفير» خاص؟
- وزير سابق بلا مواكبة؟
- وزير سابق بلا لعلعة رصاص؟
- وزير سابق بلا زمامير؟
- وزير سابق ولم يتجمّع الفضوليون على الأرصفة؟
- وزير سابق ويتوقف للمارّة؟
- وزير سابق بلا «بعدو من الطريق يا إخوات الشـ...»؟

...

لم أخبر صديقي أنّ همّي الأوّل والأخير كان منصبّاً على إكتشافي المزدوج والمفرح:

سيّارة أقلّ أهمّية من سيّارتي ويقودها شخص (كان يوماً) أكثر أهمّيّة منّي!

فقط اكتفيت بإجابته: هل تتذكّر أغنية أم كلثوم «إسأل روحك»؟!

* شاعر وكاتب لبناني مقيم في سدني «استراليا»

تواصل

وحدة العرب في الثقافة!

| نواف السعد |

«ندواتنا الفكرية مثل مؤتمراتنا العربية»... هذا ما قاله الاستاذ الدكتور حسين المسلم في الندوة التطبيقية بعد عرض مسرحيته بوخريطة في المهرجان المسرحي المحلي الاخير، بعد الهرج والمرج الذي حصل في الندوة بين اثنين من المهتمين والمعروفين في المسرح ونقده وايضا من كتابه، ان ما قاله المسلم هو ايضا الموضوع الذي يدور حول كثير من مسرحياته التي عرضها والتي لم يعرضها، كلها تدور حول الوضع العربي، وما وصلت اليه الحال العربية من الامور والاهوال، التي صرنا نراها في المنتديات الفكرية والادبية ايضا.

العمل المسرحي هو جهد شخص يصيب ويخطئ، لكنه في النهاية هو مشكور جدا على هذا العرض، وعلى التعب الذي اجتهد الممثلون والطاقم كله من اظهار مسألة تهم المتفرج العربي، وبخاصة مسرح الاستاذ الدكتور حسين المسلم مع اخوانه وابنائه من فرقة الجيل الواعد، ان يسفه عمل الدكتور والمسرحية بأسلوب ليس هو بأسلوب ناقد، وصار هناك رد على المعقب وغيرها من الامور التي والله ارجعتنا إلى حال مؤتمراتنا العربية وما يحصل فيها من هرج ومرج ما كان ينبغي ان يحصل، لقد قالها الاستاذ الدكتور اصبحت ندواتنا امتدادا إلى ثقافتنا العربية، او التي هي مستمدة من حالنا العربي، وايضا حال مؤتمراتنا العربية وما حصل في المؤتمر الاخير خير دليل على هذا الامر.

كان الاجدر بالاساتذة الكرام ان يبعدوا انفسهم عن هذه الامور، التي تنزل المثقفين عن الرتبة الرفيعة التي وضعت فيها الثقافة ومرتادوها، والمطلوب من الاساتذة الكرام هو النقد البناء لا التجريح، وايضا النقد الذي يكون فيه فائدة لكثير من هواة المسرح الذين ليس لهم دراية تامة او لم يكونوا من دارسي هذا الفن العظيم حتى يستفاد منهم، اما ما حصل ويحصل في بعض المنتديات فهو لا يمت للثقافة والمثقفين بشيء ابدا، ولنجعل الثقافة هي الامل الماضي إلى وحدة العرب، وتكاتفهم وايضا في حل مشاكلنا بعد ان لم تستطع مؤتمراتنا العربية ان تحل مشاكلنا العربية، ونجعل من يريد ان يكون لنا المرآة التي نرى فيها عيوبنا يعملون لعلنا نصحح ما افسده الدهر من الجهل الذي ساد بلادنا، وايضا الاستاذ الدكتور كان وما زال من الناس الذين لهم اهتمام في الوضع العربي وقضاياه، التي لعل سوق الجمعة الذي ابتكره سيحل مشكلة العرب قبل ان تحلها مؤتمراتنا العربية.

اكتشاف تمثال نادر لـ «سيتي الأول»

| القاهرة - من أغاريد مصطفى |

أعلن وزير الثقافة في مصر فاروق حسني عن اكتشاف «تمثال أوشابتي» من عصر الأسرة 19 وخرطوشا للملك سيتي الأول «ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشرة» أثناء أعمال الحفائر الأثرية التي تقوم بها البعثة المصرية التابعة للمجلس الأعلى للآثار داخل الممر الموجود بمقبرة سيتي الأول بوادي الملوك بالبر الغربي بالأقصر.

وأشار.. إلى أن الكشف حققته البعثة المصرية برئاسة أمين عام المجلس الأعلى للآثار الدكتور زاهي حواس.

مجموعتها القصصية الجديدة تكاشف الذات برسائل مفتوحة

بشرى خلفان... تنفض الـ «غبار» عن صفحات الذاكرة

| هيا صالح |

بشرى خلفان

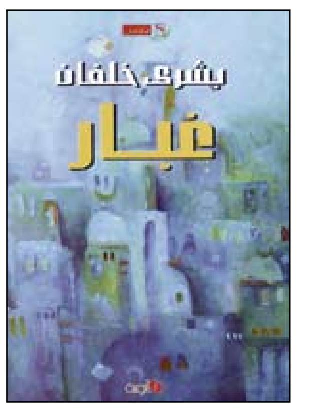

غلاف المجموعة

«غبار»... هو العنوان الذي اختارته العُمانية بشرى خلفان لمجموعتها المصنفة - كما يوضح الغلاف- على أنها نصوص. وهو عنوان يحيل إلى ما تراكم في الذاكرة من ذكريات شكلت بمرور الوقت طبقات أتربة لا يمكن نفضها إلا بالبوح ومكاشفة الذات، لا بهدف التصالح معها، إذ هو مطمع بات صعب المنال، وإنما بهدف معرفة الأسباب التي قادت الذات إلى طريق مسدودة من اليأس والعزلة؛ والمفردتان الأخيرتان هما الأكثر تعبيراً عن أجواء ما تضمنته المجموعة من نصوص هي أقرب ما تكون إلى فن القصة، حتى لو لم تشأ لها الكاتبة ذلك.. لذا تنظر هذه المقالة إلى الكتاب بوصفه يضم قصصاً قصيرة، وتتناوله من هذا الجانب.

تبدو سمات بطلة القصص «الراوي بضمير المتكلم» واحدة، ويمكن استجماع ملامحها المتناثرة عبر متون السرد، إنسانة حزينة تعاني من الفقد، ليس بمعناه المادي الذي يحيل إلى الرحيل أو الموت أو ما شابه، وإنما بمعناه النفسي: عدم الشعور بالأمان، والاغتراب الداخلي، والإحساس بالوحشة.. وهو الشعور الذي بدأ ينمو عند الطفلة التي كانتها البطلة عندما تركتها أمها على باب الإرسالية (وهي على ما يبدو مدرسة داخلية) و«غاب طرف ثوبها الأبيض المرشوش بالوردات الصغيرات، يختفي في السكة الغارقة في الظل الصباحي لبيوت مسقط المتراصة» (ص 6).

تلك اللحظة كانت أولى نقاط الغبار التي انطبعت على صفحات الذاكرة، ومنها تبدأ حالة من الاستنزاف الوجداني الذي تعيشه البطلة محاولة الوقوف على أطلال تبدو شديدة الوحشة ومرعبة: «في تلك اللحظة تيقنت أن تفوقي الوحيد على الفقد لن يكون إلا بإعادة صياغة الأشياء من حولي» (ص 7)، وعندها تبدأ بتشكيل قطع الصلصال التي تهب البطلة بعضاً من الإحساس بالسلوى، وإن لم تكن البطلة قادرة على منحها الحياة، لكن السؤال الذي يظل برسم الإجابة هو: «لماذا اختفى ثوب أمي ذو الوردات البنيات في ذلك المنعطف؟» (ص 7).

هي محاولات غير مجدية للفرار من وقع الإجابة عن سؤال أوجدَ في نهاية الأمر حالة من التأزم النفسي رسمت خطى البطلة في عتبات حياتها وواقعها المعاش: «اليوم أزداد يقيناً أن ما أسميه الذاكرة -أو العقل تجاوزاً- هو وحده المسؤول الأول والأخير والمباشر عن هذا البؤس، هذا البؤس الذي أتسربل به كالكفن» (ص 9).

كذلك، تعود البطلة إلى مكمن ذاكرتها في قصة «هنا.. هناك حيث لا يعرفني أحد»، وتغيم أجواء الحزن عبر حكاية الطفلة التي تدرك الآن، والآن فقط، كم كانت الصور المستحضرة مؤلمة، ولعل أشدها إيلاماً صورة اختفاء الأم وهي تتركها على باب الإرسالية بينما تغيب بثوبها ذي الوردات البنيات، وفي هذه الصورة إشارة إلى الفقد والحرمان، وإلى تلك الأحاسيس التي لم تستطع الطفلة أن تفسرها في وقتها لتعود إليها وتُخرجها من بئرها العميقة: «بالنسبة إلى الطفلة كانت الإرسالية، بمبانيها العالية، صندوق ألعاب جديداً ما عليها إلا أن تمد يدها وتستخرج منه الحياة التي ستعيد صياغتها كما تشاء، والتي -في الحقيقة- أثقلت عليها في السنوات التي أتت من عمرها بفيض من الدهشة والسؤال» (ص 15).

تلك الطفلة التي عادت بعدما كبرت وأصبحت أماً إلى المكان نفسه لتبحث عن الجحر الصغير الذي فقدت بداخله قلمها المحفور من خشب الصندل، والذي كانت قد سرقته من محفظة أختها الكبرى.

هي صور من الذكرى تتداخل بشكل عفوي يكشف وعياً بمقاربة عالم النفس الداخلي الذي تشتغل القاصة ضمن مساحاته دونما الانزلاق في مطبات هذا النوع الشفيف من السرد، كما تتناول تفصيلات متشابكة تمنح السرد قدراً من الغواية وتحرض المتلقي على ولوج عوالم القصة وقراءتها مرة بعد مرة، واكتشاف الجديد فيها مع كل معاودة قراءة وتكرارها، خصوصاً أن إنتاج الحبكة يتم من خلال تداخل الصور المستدعاة وهي تسير ضمن خط مستقيم دون أن تبلغ الذروة، ليأتي التشويق من خلال جمالية اللغة والخاتمة التي تشعل وهج الدهشة.

وتبدأ تلك الطفلة بالتعرف على ذاتها من خلال الإرسالية التي تعيش فيها رغم إدراكها للفرق الطبقي بينها وبين زميلاتها اللواتي يرتدين الثياب الفاخرة والمميزة؛ فيما هي لا تملك غير سروال من النايلون وحذاء بلاستيكي رخيص: «وجهي الذي مهما دعكته أمي كان يحتفظ ببقايا فقر لا تخطئه العين» (ص 16).. هو الاختلاف الذي كانت تدركه الصغيرة جيداً، والذي جعلها تصمت ولا تحتجّ حتى عندما أقدمت زميلاتها على سرقة نظارتها وبدأن بالسخرية منها، كل ما فعلته هو أن غطت رأسها بالشرشف الأزرق: و«أعدت رسم وجوه جميع البنات في صفي بلا عيون» (ص 17).

من الذرات الأخرى من الغبار الذي احتل مساحات واسعة من ذاكرة البطلة، ذلك الرجل الذي كان في وقت ما حقيقة، ثم استحال إلى خيال، تستحضره البطلة وتعقد معه ما يشبه حواراً مسترسلاً عن لا شيء وعن كل شيء، وهو حوار يظل طي الكتمان ولا يخرج من منطقة التخيل والتأمل: «منذ مدة طويلة وأنا أتكلم معك. هذا الحديث الذي لا يسمعه أحد غيري يتصاعد يوماً بعد يوم، أجد نفسي غارقة في حديث داخلي معك» (ص 5). لقد كان حديث البطلة مع الآخر ضمن ما تتمناه فقط، وفي باطنها بما يشبه أحلام اليقظة. وكما كان يمنحها الصلصال بعضاً من نور في سراديب حياتها المظلمة، كذلك كان استحضار الرجل يمنحها شيئاً من المتعة المُتْعِبة: «نعم أعرفك من وراء حاجز صلب من الزجاج، إذ يخيل إلي أني أعرفك لكنني لا أعرفك أبداً. أتوهم معرفتك، أستعذب الوهم، وألفّ وأدور حولك، وعندما يزداد اضطرابي أسقط» (ص 5).

والسؤال يصبح أكثر قتامة ووجعاً في قصة «فراشات بيضاء»، إذ يحضر الرجل الذي تعقد معه البطلة حوارية في داخلها، والذي يبدو متخيلاً رغم محاولتها إقناع القارئ بغير ذلك. تنظر كما تفعل دائماً إلى موقف سيارته في موقع العمل الذي يجمعهما، لتتأكد من وجوده، ولا تترك عادتها تلك حتى بعدما يصبح مكان السيارة خالياً، إذ يغيب الرجل دون أن نعرف الأسباب: «في البداية كنت ألتفت حتى أتيقن من حضورك، لكنني بعدها صرت ألتفت حتى أرى غيابك الذي يستشري، يستشري بقسوة رغم الخطوات التي أعتبر أني أنجزتها في هذه الرحلة التي لا تحمل عنواناً سوى مطلق العذاب» (ص 11).

وتظل كذلك تهرب من الإجابة عن السؤال الذي يلحّ عليها: ما الذي تريده من ذلك الرجل؟ تحاول الإجابة: «هذه حيلة أمارسها على ذاتي لأقاوم الموات الذي يقيم في الداخل» (ص 11)، لكنها تعود لتشكك بصدق الجواب: «أنا لا أعرف لهذه الأسئلة التي تخضع الروح لمواجهة عقيمة مع المنطق» (ص 11).

ولمدينة «مسقط» أغبرتها القارّة في وعي البطلة أيضاً، تلك المدينة «المرسومة بدقة خبير تجميل عجوز تعوّد أن يعيد الشباب الوهمي لوجوه غارقة في القدم» (ص 60).. فتلك المدينة باتت مصدر إزعاج للبطلة بعدما أفقدها الإسمنت المسلح بكارتها ونقاءها: «مسقط التي لم يكن بإمكاني أن أتوه في شوارعها، حتى لو أردت، تخدعني الآن بالتفافاتها وطرقها التي صارت تذهب بعيداً، بعيداً جداً، ولا أصل إلى جهتي» (ص 60).

في هذه المجموعة، ذات الأجواء المشحونة بالألم حدَّ الفجيعة، ثمة خيط مستتر يلظم القصص جميعها، فبدت كل قصة من المجموعة مكملةً للأخرى، وكأنها قصة واحدة، يطغى عليها شعور بالاغتراب في أقصى حدوده، وإحساس مر بالكآبة والخذلان. ولعل هذا ما يفسر سلوك البطلة في جميع قصص المجموعة والتي تلخصها الراوية بضمير الأنا بقولها: «غالباً ما أجيد تضليل الآخرين عندما يتعلق الأمر بالانكشاف على الضعف، وغالباً ما أفعل ذلك متسربلة بالصدق» (ص 64).

جاءت القصص على شكل رسائل مفتوحة تُختتم الواحدة منها بالصمت أو الهروب الذي يتخذ غيرَ شكل، ومثال ذلك قصتا «خروج»، و«لو أنه أصغى» التي تؤكد فيها البطلة الراوية خوفها من الاعتراف بما تحس به تجاه الرجل الذي تحب.. مشاعر تتوالد في الداخل وتنمو وتتشكل في قمقم جوّاني ولا يتم تفريغها بشكل حقيقي وإنما من وراء ستر من خلال الرسم، أو الكتابة، أو المونولوج الداخلي..

شغلت القصص بعوالم النفس الداخلية، واعتمدت الرمزَ وتيار الوعي، بما وفّر بروزاً مؤثراً وموحياً للعبارة المنتقاة بحساسية بالغة التأثير، وحضوراً للّغة الشعرية المكثفة.

* كاتبة أردنية

haya_saleh@maktoob.com

شعر

قصائد قصيرة

| أحمد كمال زكي |

لوحة للفنان عبدالكبير البحتور

إلى زوجتي الغالية «هبة»... نبوأتي التي تحققت.

أنتِ
الوقتُ المتسربُ من بين أصابعِ روحي.
الهمسُ الناتئُ من نظراتٍ حيرى.
الوَحدةُ حين ترافقُ أسرابَ البهجةِ.
البهجةُ لَمَّا تُشبهُ أطيافَ الوحدةِ.
الليلُ النَّازفُ من شريانِ الآهةِ.
النَّارُ النائمةُ بحِضنِ صقيعٍ دافئْ.
البردُ الراقصُ مُبتهجًا مع ألسنةِ النارِ.
اللحنُ المنسابُ غموضًا في أنهارِ النُّورِ.
النورُ الواقفُ مبهورًا عند تُخومِ السَّمْتِ.
أنتِ.

***

قُبلة
القُبلةُ التي زَرَعْتِها
ذات يومٍ بعيدٍ
في صحراءِ شَفَتَيْ
وقلتِ بعدها: لا فائدة!
ردَّتْ عليكِ الآن
-بعد كلِّ هذه السِّنينْ -
بواحةٍ من القَرَنْفُلِ
لَمَسْتُهَا بإِصْبَعِيْ
حين نظرتُ في المرآةِ صباحَ اليومْ.

***

مسكين
هذي البِنْتُ الجالسةُ جواري
مُجرمةٌ.
فبرغم استجداءِ الرُّكَّابِ
جميعًا، في المترو، لها
أن ترحمَ ضعفي
ظلتْ تضغطُ
بجمالٍ جبَّارٍ
قلبي.
وبِلَحْظٍ مَسنونٍ تطعنُني
حتى خَرَّ القلبُ صريعًا.
مات المسكينُ
من الحب.

***

جيب قميصي
أَضَعُ قلبيَ
في جيبِ قميصي
وأُغْرِقُ البنتَ الجميلةَ حُبًّا
وشوقًا...
وفي الصباحِ التالي...
أرتدي قميصًا بلا جيب
فتتفزعُ البنتُ الجميلةُ
حين أعامِلُهَا بقسوةٍ
وبلا قلبْ!

***

لو فَعَلَتْ
لو قَالَتْ حين احتجتُ إليها:
مَالَكْ؟
لو قَالَتْ: من أيِّ الأشياءِ تُعانيْ؟
لو قالت حتى: عُذرًا، لا أملكُ أنْ
أتصلَ الآنْ...
لو بعثت «E-mail» قصيرًا
لاختلفَ الأمرُ كثيرًا.

***

فرحة أخيرة
لماذا لا تمنحها فرحةً أخيرةً
تُطيِّرُ قلبها
وتبهجُ روحها
وتهبها لقمةً من فم الحبِّ
تلوكها بروعةٍ ذاهلةٍ
إلى الأبدْ؟

* القصائد من ديوان تحت الطبع بعنوان: «مراعي الروح».